مركز الفكر المعاصر

قضايا فكرية معاصرة

ربيع الآخر ١٤٣٢هـ (١)

مآلات القول بخلق القرآن

دراسة عقيدية معاصرة

تأليف
الدكتور : ناصر بن يحيي الحنيني

١٤٣٢هـ

مركز الفكر المعاصر

مركز علمي يقديم رؤية لمنهج إسلامي أصيل في القضايا الفكرية المعاصرة يعتمد الوسطية منطلقاً ومنهجاً في نقد التيارات الفكرية المخالفة .

الأهداف

١- رصد الحراك الثقافي المحلي مع تقديم رؤية ناضجة في ضوء العقيدة الإسلامية الصحيحة .

٢- استثمار الطاقات العلمية والثقافية المتميزة في نشر الحق والرد على الباطل .

٣- تقديم الدراسات في القضايا العقدية والفكرية المعاصرة .

٤- تبني النتاج العلمي والثقافي المتميز المعني بتخصص المركز وتوجهه الثقافي والمساهمة في نشره بكل الوسائل المتاحة .

رقم الإيداع :١٤٣٢/٣٣٤٦
ردمك :٨-٧١٢٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

قضايا فكرية معاصرة

ربيع الآخر ١٤٣٢هـ

(١)

مركز الفكر المعاصر

المشرف العام
د.ناصر بن يحيى الحنيني

المدير التنفيذي
وليد الدلبحي

مدير التحرير
أمين العطبري

التصميم والإخراج
محمد عثمان

- أهداف النشرة :

١. العمل على تفعيل المقدرات البحثية ، وتوظيفها في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة.

٢. استنهاض الهمم ، وحشد الطاقات لخلق ترس حصين دون مسلمات الأمة وقيمها وأخلاقها .

٣. جعل التصدي للتيارات الفكرية الاستلابية هم عام لمثقفي الأمة.

٤. رعاية الإنتاج الإبداعي وتحفيز المبدعين .

- مجالات النشر : (المحاور الرئيسة للبحوث)

دراسة اتجاهات التنوير الغربي في المجتمعات المسلمة (الليبرالية ، العلمانية) والمذاهب الفكرية التي أفرزتها (العصرانية ، العقلانية) في كافة المجالات (التعليمية ، السياسية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، الأدبية) وذلك من خلال :دراسة البعد التاريخي ، نقد الأصول الفكرية ، الوسائل المتبعة في نشرة الفكر، والآثار السالبة التي أفرزتها تلك المذاهب في المجتمعات المسلمة

- ضوابط الأعمال المقدمة للنشر:

يراعى في الأعمال التي ترسل إلى المركز الأمور التالية:

- أن تكون متسمة بالموضوعية في تناول القضايا ضمن المحاور المذكورة .
- أن تكون فيها إضافة جادة في ميدانها.
- أن تكون بالعربية الفصحى ، والبعد ما أمكن عن المصطلحات الغربية المستحدثة ، إذا وجد ما يقابلها من اصطلاح في العربية.
- ألا يكون العمل المقدم قد تم نشره مفردا من قبل ويستثنى النشر في المجلات المحكمة.
- أن يكون البحث مطبوع على الكمبيوتر بمقاس خط ١٨ عادي ، ويتراوح عدد الصفحات ما بين ٥٠-٦٠ صفحة

تدفع قيمةالإشتراك (١٢عدد) بإيداع في مصرف الراجحي
حساب رقم: ٣٥٥٦٠٨٠١٠٤٩٠٩٠٣ باسم مركز الفكر المعاصر
للأفراد ٢٠٠ ريال وللمؤسسات ٣٥٠ريال
(مع إرسال صورة إيصال الإيداع وبيانات الإشتراك علىالبريدالإلكتروني)

السيرة الذاتية

د.ناصر بن يحيى الحنيني

من مواليد عام ١٣٨٩هـ.

- أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،

-المشرف العام على مركز الفكر المعاصر

-نائب رئس الجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية المعاصرة .

- رئيس اللجنة العلمية بمؤسسة الوقف سابقاً.

- عضو وحدة البحوث في كلية أصول الدين بالرياض.

مؤلفاته :

منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة .

التطرف المسكوت عنه (نقد اصول الفكر العصراني)

تحقيق وتعليق على نونية ابن القيم بالاشتراك مع مجموعة من الباحثين

مآلات القول بخلق القرآن

دراسة عقدية معاصرة

الدكتور / ناصر بن يحيي الحنيني

نشأة القول بخلق القرآن ٦

حقيقة القول بخلق القرآن ١٢

مآلات القول بخلق القرآن على مذاهب المتكلمين ١٤

مآلات القول بخلق القرآن على مذاهب المعاصرين ٢٤

للنشر في السلسلة وكذا الإشتراك مراسلة

markazfekr@hotmail.com

هاتف: ٩٦٦١٤٥٣٩٨٨٣+ فاكس: ٩٦٦١٤٥٣٢١٥٧+

الرياض ١١٣٢٢ ص.ب ٢٤١٤٧٠

مركز الفكر المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

على خلاف ما يذهب له الكثيرون من أن مسألة خلق القرآن ، لم تعد أكثر من تاريخ لحركة الكر والفر في القرون الأولى للإسلام ، التي أفرزها الجدل الفكري مع التيارات المناوئة للإسلام ، لاسيما تلك التيارات التي حركها الغبن والكيد السياسي على الفاتح المسلم ، فأعملت الحيلة والمكر الفكري لتفكيك مسلماته ، وزعزعة ثوابته العقدية بإشاعة بعض الفلسفات الفارسية القديمة ، أو الذي حدث بطريق عفوي ، أوجبه التمازج الواسع مع ثقافات وديانات سابقة اكتسحت ديارها الفتوحات الإسلامية المتوالية وعلى الخصوص بلاد فارس ، والتي جاءت متسارعة وعلى الرغم من إن الدعوة والتعليم كانت مواكبة للفتوح إلا إنها لم تستوعب بطبيعة الحال التمدد الكبير لمسلمة الفتوح فظلت كثير من الوثنيات عالقة في نفوس المعتنقين الجدد ، أو نتيجة للتهوك الكبير على التراث اليوناني عبر النقل والترجمة، الذي لم يميز بين الغث والثمين في علوم اليونان ، فنقل الفلسفات اليونانية الوثنية في الإلهيات ...

يحاول البحث أن يثبت أن المسألة برمتها ما زالت حاضرة بكل تفاصيلها في كثير من كتابات الفكر المعاصر ، يبقى الفرق فقط في المنطلقات ، فالمعتزلة الأوائل داخلهم ما أوجب القول عندهم بخلق القرآن من شبه نتيجة مناظراتهم التيارات المناوئة للإسلام ، وهم في ذلك واقفون موقف المدافع عن الإسلام الذَّائِدونَ عن حوضه في بعض الأحيان، وإن خالطها كثيرا عند المتأخرين إتباع للهوى والتعصب الأعمى ، فحين أن العلمانية المعاصرة في دراساتها للقرآن انطلقت من نظرية الاعتزال في خلق القرآن، وتخريجات الأشاعرة في مذهبها التوفيقي التلفيقي في قضية كلام الله ، لتمرر مشروع نزع القداسة عن القرآن الكريم ، وجعله كتاب يعكس فقط واقع الدعوة والرسالة في المجتمعات الأولى التي نشأت فيها ، والتطورات التي لحقت بها ، فهو ليس بالضرورة من عند الله ، مع إعمال مناهج النقد الغربية الحديثة في الفيلولوجي (اللغوي) والابيبستيمولوجي

(المعرفي) على القرآن الكريم ، خرجوا بما تواضعوا عليه بـ " تاريخانية القرآن " بمعنى أنه عمل بشري أفرزته وقائع التاريخ ، وغير خافٍ أنه لا يلتقي في النهاية مع مقولة الاعتزال في خلق القرآن فحسب ، بل تمثل فكرة الاعتزال نقطة الانطلاق ، وفي نفس الوقت المبرر الكاف لتمرير المشروع برمته في أذهان الأجيال اللاحقة بتقمص أفكار من التراث أو الإرث الإسلامي . من هنا كان مشروع البحث ومن هنا كانت أهميته.

وفي البحث بيان لأثر هذا الانحراف تجاه كلام الله وأبان عن عمق فهم سلفنا الصالح في التحذير من هذه البدعة وأنها تعود على أصل الدين بالهدم ، بل على كل الشريعة بالفساد والإبطال ،وتمثلت آثاره في القدح في الذات الإلهية وفي التشكيك في القرآن وصحته وإعجازه وتشريعاته ،مما هيئ أرضية خصبة لدعاة الإلحاد والزندقة في عالمنا العربي للنيل من الإسلام وأصوله ومصادره ، فالبحث رسالة إلى كل المتهاونين والمهونين من شأن هذه الانحرافات وليبين بجلاء عدم صحة اندثار البدع القديمة وأن كل بدعة لها من يروج لها بحسب أهدافه ومنطلقاته .

هيئة التحرير
العـــطبري

******

مقدمة المؤلف

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين أما بعد:

فإنه لاشك أن كتاب الله عز وجل هو المصدر الأول للتشريع في العقيدة والشريعة، وهذا أمر مجمع عليه عند كل مسلم ، وهو من المسلمات التي لا يدخلها الشك عند المسلمين، ولا يستطيع أي عدو للإسلام والمسلمين أن ينال منه؛ لتجذره في عقيدة كل مسلم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[الشورى ١٠] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[النساء: ٥٩] ، وهو جزء من إعجاز هذا الدين ، في كل جوانب الإعجاز التشريعية والبلاغية وغيرها ،وقد حاول الأعداء النيل من القرآن لعظم أثره في حفظ دين الناس وثباتهم عليه فلم يستطيعوا النيل منه مباشرة فعمدوا إلى أساليب وألاعيب قد ينخدع بها الجهال وحتى بعض من أوتوا نصيبا من العلم الذين اتبعوا أهواءهم وقل تعظيمهم للوحي المنزل من عند رب العالمين، وكان من هذه الدسائس التي ظهرت في القرون الأولى- لإضعاف هيبة النص القرآني في قلوب المسلمين-بدعة ما يسمى بـ(خلق القرآن) ، وأنه ليس كلام الله بل مخلوق من المخلوقات مما رتبوا عليه إضعاف قداسته وهيبته في النفوس ،وبهذا الأمر مع غيره من المكائد استطاعوا ان يفتنوا بعض الفئام من المسلمين لتجاوز النصوص القرآنية التي كانت حجر عثرة أمام مخططات أعداء الإسلام ،ولما انتشر القول بخلق القرآن عند بعض المسلمين ظهرت له آثار وخيمة قديمة وحديثة أضرت كثيراً بالمسلمين وبعقيدتهم ؛حتى وصل الضرر إلى النيل من القرآن وقداسته صراحة ،والقول بأنه نص مثل غيره من النصوص يقبل النقد والتعديل -نعوذ بالله من الكفر المستبين -؛ولهذا كان هذا البحث حول مآلات القول بخلق القرآن وآثره على عقيدة الأمة في القديم والحديث بشكل مختصر

وأسال الله التوفيق والسداد والإعانة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أن من أعظم الواجبات وأجل القربات هو الدفاع عن كلام الله عز وجل المقدس المنزل على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبيان كيد الأعداء وفضح مخططاتهم التي قد تخفى على كثير من المسلمين .

أهمية الموضوع

تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال الأمور التالية :

أولاً: أن القرآن مصدر التشريع لهذه الأمة، والقدح فيه والتشكيك في قداسته إخلال بهذا الأصل على وجه الخصوص وبالشريعة على وجه العموم مما يعود على غالب أحكامها بالإبطال؛ بل على أصولها ومحكماتها وكلياتها، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله " والاختلاف العظيم هو الاختلاف في تنزيله ،وهذا الاختلاف بين المؤمنين والكافرين ،فإن المؤمنين يؤمنون بما أنزل الله ، والكافرين كفروا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله فسوف يعلمون ،فالمؤمنون بجنس الكتاب والرسل من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين يؤمنون بذلك ، والكافرون بجنس الكتاب والرسل من المشركين والمجوس والصابئين يكفرون بذلك، وذلك أن الله أرسل الرسل إلى الناس لتبلغهم كلام الله الذي أنزله إليهم ،فمن آمن بالرسل ؛آمن بما بلغوه عن الله ، ومن كذب بالرسل ، كذب بذلك ،فالإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده ، والكفر بذلك هو الكفر بهذا فتدبر هذا الأصل فإنه فرقان الاشتباه ، ولهذا كان من يكفر بالرسل تارة يكفر بأن الله له كلام أنزله على بشر ، كما أنه قد يكفر برب العالمين مثل فرعون وقومه .."أ.هـ [1]

ثانياً: أن بعض المفكرين والمنتسبين للإسلام المعاصرين يهونون من شأن هذه البدعة، ويزعمون أن الحديث عنها مضيعة للوقت، وإشغال للفتن بين المسلمين، وإشغال لهم بغير طائل، والبحث يبين عظم وخطر هذه البدعة وأثرها على الأمة في القديم والحديث ،قال الإمام أحمد:" إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة وأن علم الله مخلوق ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون إنما يقولون القرآن مخلوق ويتهاونون به ويظنون أنه هين ولا يدرون ما فيه وهو الكفر"أ.هـ [2] .،وقال الإمام وكيع :"لا تستخفوا بقولهم (القرآن مخلوق) فإنه من شر أقوالهم وإنما يذهبون إلى التعطيل"أ.هـ[3]

ثالثاً: بيان عظم فقه السلف في التحذير من هذه الفتنة العظيمة، وصبرهم على ما لقوا من الأذى في سبيل إنكارها، والتحذير منها، وما تخوف منه السلف عاصره الخلف ولمسوه وقرأوه بأعينهم في كتابات تسطر في كتب ومجلات تنسب إلى العلم والفكر ،وصدق شيخ الإسلام حين يقول "ولكن السلف والأئمة أعلم بالإسلام وحقائقه ، فإن كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة ، حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى، فلما اطلع السلف على سر القول نفروا منه "أهـ[4]

رابعاً: أن من أعظم الواجبات وأجل القربات هو الدفاع عن كلام الله عز وجل المقدس المنزل على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ،وبيان كيد الأعداء وفضح مخططاتهم التي قد تخفى على كثير من المسلمين .

خامساً: بيان غلط من ينسب بدعة القول بخلق القرآن إلى عقيدة المسلمين وأنه من تراثهم ، والبحث يبين أنها عقيدة فاسدة دخيلة من قبل الأديان المحرفة، ولهذا كانت آثارها سيئة ومآلاتها خطيرة فالقول بخلق القرآن جمع سؤات كثيرة من حيث فساد نفس البدعة وفساد مصدرها وفساد ما تؤول إليه .

مدخل : نشأة القول بخلق القرآن.

المعروف في كتب السنة والاعتقاد عند أهل السنة أن أول من قال ببدعة القول بخلق القرآن هو الجعد بن درهم ،يقول الإمام الهروي[٥] " وأما فتنة إنكار الكلام لله عز وجل :فأول من زرعها جعد بن درهم ، فلما ظهر جعد؛ قال الزهري –وهو أستاذ أئمة الإسلام زمانئذ- "ليس الجعدي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ""أ.هـ[٦] ،فالزهري هو أول من عرف عنه إسناد هذه البدعة إلى الجعد ، ونقل هذا الرأي كذلك الدارمي حيث قال : "وكان أول من أظهر شيئاً منه بعد كفار قريش :الجعد بن درهم بالبصرة وجهم بخراسان.. "أهـ[٧].

وأسند البخاري رحمه الله قصة قتله على يد خالد بن عبدالله القسري وأن سبب قتله هو نفيه لصفة الكلام عن الله عز وجل ، ونقل الأئمة في كتب الاعتقاد هذه القصة مسندة أيضاً.[٨] ونقل هذا المؤرخون ،كابن الأثير ، وابن كثير ، والذهبي ، وابن عساكر والمحققون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيميةوابن القيم رحم الله الجميع[٩] .

ولكن السؤال : من أين أخذ الجعد بن درهم هذه العقيدة؟

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع[١٠]من كتبه أنه أخذها من بيان بن سمعان[١١] وأخذها بيان عن طالوت [١٢]إبن أخت لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وطالوت أخذها من لبيد[١٣]وهو من اليهود .

وممن أشار إلى هذا السند وأكده ابن الأثير وابن عساكر والصفدي وزادوا في نقلهم عن لبيد اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم أنه "كان يقول بخلق التوراة "[١٤]

وقد نقل السلف كذلك نصوصاً عن رؤوس أهل البدع القائلين بخلق القرآن كبشر المريسي أنهم تأثروا باليهود ، فقد جاء عن الإمام وكيع أنه قال : "على المريسي لعنة الله ، يهودي هو أو نصراني ،فقال له رجل :كان أبوه أو جده يهودياً"أ.هـ[١٥]

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أبعد من هذه وهو تأثر الجعد بالفلاسفة الوثنيين في منطقة حران لأن بعض المؤرخين أشار إلى سكناه في حران[١٦] أخذ مقالته في خلق القرآن عن صابئة فلاسفة حران الذين يقولون: إنه ليس للرب إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما..

يقول شيخ الإسلام حول هذا التأثر: " ولكن لما ابتدعت الجهمية القول بنفى الصفات في آخر الدولة الأموية ،ويقال إن أول من ابتدع ذلك هو الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان هذا الجعد من حران وكان فيها أئمة الصابئة والفلاسفة"أهـ.[١٧]

وفي كلام السلف إشارات غير صريحة لمثل هذا المعنى فقد قال إسحاق بن عبد الرحمن : "بشر المريسي يقول بقول صنف من الزنادقة سيماهم كذا وكذا "أهـ[١٨]

هل كان مقتل الجعد بن درهم تصفية سياسية ؟

عمل بعض الكتاب على إعطاء مقتل الجعد بن درهم من قبل الأمويين تفسيرا سياسيا ، إذ لم يعرف في الأمراء إذ ذاك غيرة عقدية تدعوهم لتتبع أهل البدع وتصفيتهم سيما خالد القسري الذي رمي بحسب زعمهم بالنصب والعداء لعلي رضي الله عنه ..

الأمر الأول : أن من أخذ هذا الموقف عن خالد القسري إنما اعتمد على أحكام صاحب كتاب العقد الفريد والأغاني وكلاهما من الشيعة لذا قال ابن كثير في التاريخ (٢١/١٠): (والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه، فإنه كان قائما في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد وقد نسب إليه صاحب العقد أشياء لا تصح، لأن صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالاة لأهل البيت)

وقال عنه الذهبي (٢٥/١٠): (وكان جواداً ممدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف...) وعلل ذلك ابن الأثير : (قيل كان يفعل ذلك نفيا للتهمة وتقربا إلى القوم وقال: وكان خالد يصل الهاشميين ويبرهم)

فهذه أقوال أئمة السنة في التاريخ يعدلون في وصفه ... ومما يقوي هذا القول أن خالدا ثبت عنه أنه قتل بيان بن سمعان من الغلاة القائلين بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه (الملل والنحل ١٥١،١٥٢/١)

الأمر الثاني : أن الروايات التاريخية تثبت أن المبادرة في قتل الجعد كانت من هشام بن عبد الملك بتوجيه من ميمون بن مهران ، وقد كان هشام معروفا عنه شدته على أهل البدع فقد قتل غيلان الدمشقي الذي أظهر القول بنفي القدر في أيام عمر بن عبد العزيز، فأحضره عمر، واستتابه، فتاب. ثم عاد للكلام فيه أيام هشام، فأحضره من ناصرة ثم أحضر له الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم أمر به فصلب. كما إصدار أمراً لواليه بخراسان نصر بن سيار بطلب الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم وقتله (كما عند أبي حاتم)، ولكن هشاما توفي سنة (١٢٦هـ) ولم يدرك قتلة الجهم سنة (١٢٨هـ).فهذه ثلاث مناقب لهشام تظهر شدته على أهل البدع

الأمر الثالث : أن الجعد بن درهم لم يكن يمثل أي تهديد للنظام ، ولم تذكر عنه أي مطامع شخصية في السلطة ولم يعرف أنه طلبها لغيره، فهو لم يكن له ثقل سياسي معروف ، فقد كان من الموالي والعمل السياسي آنذاك بيد العرب فهم الولاة وهم القادة وهم أهل الحل والعقد والرأي والمشورة، ، ولم يكن للموالي دور سياسي إلا في عهد العباسيين ولذلك فإن هذه الدعوى أوهن من بيت العنكبوت. والحقيقة أن قتل الجعد كان لزندقته

الأمر الرابع : أن الانحراف لم يظهر في أمراء بني أمية إلا في اثنين من الأمراء الأول: « يزيد الثاني » ١٢٦هـ والذي يلقب ببزيد الناقص وقد تولى الخلافة سنة ١٢٦هـ وكان قدرياً حتى أنه ولى على العراق منصور بن جمهور وكان يدين بمذهب الغيلانية القدرية لكن خلافة يزيد لم تزد على ستة أشهر. والثاني : مروان بن محمد الملقب بمروان الحمار، وكان آخر خلفاء بني أمية وتولى الخلافة (١٢٧هـ - ١٣٢هـ) وقد تعلم من الجعد ابن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن، والقدر وغير ذلك. وكان يسمى بمروان الجعدي.

راجع : مقالة التعطيل والجعد بن درهم للدكتور محمد خليفة التميمي .

وأشار كذلك الأشعري في المقالات لمثل هذا المعنى وأنه مأخوذ عن الفلاسفة حيث قال : "وقالوا –أي المعتزلة-:إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لا صفات له ، وإنه لا علم له ، ولا قدرة له ، ولا حياة له،ولا سمع له ، ولا بصر له ،ولا عزله ، ولا جلال له ، ولا كبرياء له ،وكذلك قالوا في سائر صفات الله عز وجل التي يوصف بها لنفسه، وهذا قول أخذوه عن

إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ،ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ....(إلى أن قال) :غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره ، فأظهروا معناه بنفيهم أن يكون للباريء علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك ؛ولأفصحوا به ، غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك "أ.هـ[١٩]؛بل إن الأشعري نص على أن بعض أئمة الاعتزال كأبي الهذيل العلاف[٢٠] أخذ هذا الكلام في الصفات متأثراً بأرسطوا طاليس[٢١] الفيلسوف المشهور .

القول بخلق القرآن وصلته باليهود

ولكن يبقى السؤال الذي أثاره بعض الباحثين[٢٢] أن المشهور عن اليهود أنهم مشبهة وليسوا نفاة للصفات ، وهذه القضية التي تثار للتشكيك في نقل شيخ الإسلام وغيره من المحققين من المؤرخين كابن الأثير والذهبي وابن كثير في أن أصل هذه المقولة من اليهود ،ويمكن الجواب عنها بما يلي :

أن هذا الرأي تبناه وقال به بعض الفلاسفة اليهود الذين خالفوا أقوال الأحبار المتمسكين بنصوص التوراة، وبعد البحث والتقصي تبين لي-والله أعلم-أن ممن كان له أثر كبير الفيلسوف اليهودي الذي عاش في الإسكندرية (فيلون)[٢٣] ،ويعتبر من رواد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة [٢٤]؛وإن كان المؤسس الحقيقي لها (أفلوطين)[٢٥] وهو أيضاً ممن تأثر بأقوال (فيلون)،[٢٦] وملخص ما يعرف عن فيلون أنه حاول المزج بين المعتقدات اليهودية والفلسفة اليونانية وخرج بآراء تخالف من سبقه من الفلاسفة اليونان، وأثرت على من بعده كالفيلسوف المشهور (أفلوطين).

وقد تأثر هذا الفيلسوف اليهودي المتدين بالفلسفة اليونانية لأنها كانت فتنة عصرهم وغزت العقول في ذلك العصر ،يقول صاحب قصة الحضارة :"ولكنه افتتن بالفلسفة اليونانية ،فجعل هدفه في الحياة أن يوفق بين الكتاب المقدس وعادات اليهود من جهة ، والآراء اليونانية وبخاصة فلسفة أفلاطون" أقدس القديسين"من جهة أخرى "أ.هـ[٢٧]

وقد ذهب في التأثر بالفلسفة ومحاولة التوفيق بينها وبين دينه ومعتقده إلى القول بأن كل الأفكار اليهودية توجد في الفلسفة اليونانية، وحاول أن يفسر النصوص الدينية تفسيراً رمزياً ،[٢٨] وكان من أبرز معتقداته بأن يصف الله بالسلوب كما هي عادة أهل الكلام الذين أخذوها عن هؤلاء الفلاسفة ،وكان ينفي عن الله جميع الصفات ولا يبقي إلا صفة الوجود فقط، وكان ينعته بالموجود بلا كيف ولا صفة ، ونفس كلام فيلون هو كلام الجهمية والمعتزلة والتطابق واضح .

وثمة أمر آخر يبين التطابق بشكل أكبر

الأفلاطونية الحديثة
(٢٥٠ق.م حتى ٥٥٠م)

تُنسَب إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون لأنها في جملتها أمْيَل إلى الأخذ عن مذهب أفلاطون والنزوع إلى فلسفته خاصة خيالاته في عالم المثل ، لكن خلطتها بالإلهام الشرقي. فهي بشكل عام خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها ، إلا أن ما جاء به أفلوطين من أفكار وآراء حول عملية الفيض أو الصدور عن الله تمثل الإضافة الخاصة بأفلوطين. إذ يُعدُّ أفلوطين(ولد سنة٢٠٥ م في مدينة" ليقوبوليس " مدينة أسيوط حاليًا) هو المؤسس الحقيقي للمدرسة الأفلاطونية الحديثة، ويعتبر أهم مجدد لبنائها وأكبر حامل للوائها، ويستوحي أفلوطين مبادئ فلسفته أساسًا من أفلاطون، لذلك سميت فلسفته بـ"الأفلاطونية المحدثة" وبشكل خاص يطور أفلوطين بعض الأفكار الأساسية التي وردت في بعض المحاورات الأفلاطونية؛ كي يكوِّن تصورًا خاصًا به للوجود والعالم ولمنزلة الإنسان.

أركان هذه الفلسفة هي ثلاثة اقانيم، لكن لكل من هذه الاقانيم خصوصيته، الإله الواحد أو الإله الأول الذي هو ساكن، ومنه يصدر العقل الكلي أو اللوغوس الذي يحتوي على مُثل الأشياء لفلسفة أفلاطون ومن العقل الكلي تصدر النفس الكلية ومنها تخرج النفوس الجزئية بشكل هيولي(مادي) .

وقد راقت فكرة الأقانيم الثلاثة للاهوتيين المسيحيين فأخذوا بها ، يقول (دين انج) في كتابه الفريد عن الأفلاطونية عن هذا الموضوع حيث يقول :" ان المسيحية مُدينَ لأفلوطين باكتسابها التركيبة اللاهوتية في موضوع التثليث منه". ويردف قائلاً:" إن كل الأفكار اللاهوتية المسيحية ما هي الا تجسيد لأفكار أفلوطين ، وان فكرة التثليث هي من إنتاجه الفكري لوحده تبناه اللاهوتيون المسيحيون"... فإذن العلاقة بين المسيحية والأفلاطونية علاقة تأثير وتأثر كما أثرت الأفلاطونية الجديدة في تفكير كثير من الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا والفارابي وغيرهم، وأخذوا عنها نظرية الفيض الإلهي، التي تدَّعي أن العالم يجيء صدورًا عن الله في صورة فيض، فمرتبة تفيض عن مرتبة ... وهكذا حتى تصل إلى أدنى المراتب. وبها فسروا ظاهرة الوحي بالقوة المتخيلة " إذا بلغت قوة الإنسان المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الآلهية " وهذا عبارة الفارابي..... وهي الفكرة التي طرب لها كثيرا حامد أبوزيد في " مفهوم النص" وبناء عليها ترهاته ...

وأثَّرت الأفلاطونية الجديدة كذلك في التصوف الإسلامي، وخاصة في المتصوفين المتأثرين بالفلسفة، ثم فشا تأثيرها في طرق التصوف، وخاصة فيما يتعلق بعملية التطهير أو التزكية للوصول إلى المعرفة الكاملة أو الإيمان الكامل، وهو سعي الإنسان جاهدًا للوصول إلى المصدر الذي صدر عنه والفناء فيه، وما يحتاج إليه ذلك من مجاهدة شديدة الصلابة لإماتة نوازع الجسد المفطور عليها.

وهو أن هناك نظرية تسمى نظرية الوسائط وهي تسمى عنده (فكرة الكلمة)،وتسمى (نظرية اللوغوس).[٢٩]باليونانية ، وهي فكرة عند اليونان وتطورت عند اليهود كما قررها فيلون وعند النصارى ، وهي التي بنى عليها أهل الكلام قولهم بخلق القرآن سواء علىمذهب المعتزلة أو حتى على مذهب الأشاعرة بالقول بالكلام النفسي -كما

سوف نبينه إن شاء الله- ،ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي أن هذه النظرية أخذها فيلون عن اليهود وعن اليونان وهو الذي أثر على المسيحية بهذه الفكرة ، ويقول الدكتور بدوي :"وأيا ما كان الرأي فإنه يشاهد أن اليهودية في كتاباتها المقدسة كان لها أثر كبير ،في تفكير فيلون من حيث نظرية اللوغوس ،ولكن الأثر الحقيقي الأكبر في هذه الفكرة عند فيلون هو الفلسفة اليونانية "أ.هـ[٢٠]، وهذا يؤكد ما قرره الأئمة وشيخ الإسلام أن هذه العقيدة مأخوذة عن اليهود المتأثرين بكلام الفلاسفة اليونانيين.

فما هي فكرة الكلمة ؟

هي فكرة مزيج بين القول بأن صفة الكلام من خلق الله وبين القول بوحدة الوجود ،فالفيلسوف اليهودي فيلون يرى أن هناك وسائط بين الله وبين خلقه وهي هذه الكلمة ويسميها بالقوى الإلهية ، وهذه الكلمة أو اللوغوس يتناقض في وصفها فمرة ينعتها بأنها ليست أزلية كالله كما أنه ليس فانيا كالمخلوقات ، ويرى أن البدء كان من الله وتارة يصف اللوغوس بأنه صفة من صفات الله وهو العلم وعليه فهي جانب من جوانب الله وشيء باطن فيه ، ومرة يقرر أنه صدر صدوراً خارجياً عن الله بمعنى أنه ليس صفة له، وهوشيء قد صدر وانفصل عنه،وهذا حقيقة مذهب الجهمية والمعتزلة في كلام الله.

ولعلي أسوق كلاماً لبدوي نفيساً يبين حقيقة النظرية ،وكيف أنها تتطابق مع مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأن أصول فكرتهم بالقول بخلق القرآن أو بالكلام النفسي مأخوذ عن اليهود واليونان ، وينقل الدكتور كلام من أراد أن يرفع التناقض الذي وقع فيه فيلون حول نظرية الكلمة ،وجعلها مرة منفصلة مخلوقة ومرة صفة من صفاته فيقول:"فأما أصحاب الرأي الأول فيرفعون هذا التناقض بأن يفرقوا بين الكلمة النفسية وبين الكلمة الخارجية ، ويهيبون هنا بتفرقة تجدها عند فيلون فيما يتصل بالإنسان ، ففيلون يذكر أن الكلام عند الإنسان ينقسم إلى قسمين : كلام نفسي وهو الذي يكون عبارة عن تصورات ذهنية ، لا يعبر عنها بالخارج بأصوات ، وكلام خارجي يعبر عنه في الخارج باللفظ أو الصوت ، وتبعاً لأصحاب هذا الرأي سيكون كلام الله منقسماً إلى هذين القسمين : إلى كلام نفسي وهو اللوغوس بحسبانه العلم كصفة من صفات الله ، وإلى كلام خارجي هو اللوغوس بوصفه الصورة المعقولة التي هي نموذج الأشياء"أ.هـ[٢١]

وبهذا النقل يتبين تأثير الفلسفة اليونانية على الديانة اليهودية التي اعتنق منظروها كثيراً من انحرافاتها وفسروا به نصوص التوراة واعتقاداتهم في كلام الله عز وجل .

وختاماً أنقل لك نصاً صريحاً عن هذا الفيلسوف (فيلون) يقرر نفس عقيدة الجعد والجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن وأن مصدرها من فلاسفة اليهود المتأثرين بالفلسفة اليونانية حيث يقول-حاكياً قصة تكليم الله موسى على طور سيناء :"وفي

حـران

مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين . تقع حاليا في تركيا. اشتهرت حران قديماً بسبب عاملين: أوّلهما وقوعها على طريق تجاري هام يصل بين آسيا الوسطى وبلاد الشام. وثانيهما كونها مثلت مركزاً دينياً ارتبط بعبادة إله القمر (سين) الذي كان الآشوريون يقدسونه فيقدمون له النذور والهدايا.

كان لموقع حران التجاري قبل الميلاد أهمية كبرى في تنوع سكانها فلقد استوطنها مكدونيون جاءوا مع الاسكندر المكدوني، وقد أطلقوا على آلهة حران أسماء يونانية، كما استقر فيها سوريون وفرس وأرمن وعرب.. وبقيت هذه المدينة محافظة على وثنيتها حتى بعد انتشار المسيحية.

وفي عصر الخليفة عمر بن الخطاب، استسلمت حران للقائد العربي عياض بن غنم عام ٤٩هـ/٦٣٩م وكانت تعد آنذاك حاضرة بلاد مضر العربية

بقيت حران خلال الحكم الأموي تنعم إجمالاً بهدوء نسبي تمارس أعمالها التجارية وتتابع معتقداتها الدينية التي كانت مزيجاً من الديانة البابلية القديمة واليونانية والأفلاطونية الحديثة. وجميع هذه المعتقدات ذات طابع وثني بالإضافه إلى الصابئة الذين إحتالو ا لحقن دمائهم على المأمون الخليفة العباسي بأية الصابئين في قصة مشهورة.

وفي أواخر العصر الأموي انتقلت إليها عاصمة الدولة، إذ جعلها مروان الثاني بن محمد مقراً لإقامته ونقل إليها دواوين الدولة وإداراتها... ليكون على مقربة من خصومه العلويين والعباسيين

كانت اللغة السائدة في حران اللغة السريانية وهي لغة سكانها الأصليين، وكان علماؤها يتقنون إلى جانب لغتهم اللغة اليونانية ويتمثلون الحضارة الإغريقية، هذا بالإضافة إلى إتقانهم للغة العربية، لغة الدولة الرسمية، لذا كان من السهل على علمائها ومثقفيها أن ينقلوا إلى اللغة العربية أمهات الكتب العلمية والثقافية سواء منها اليونانية أو السريانية، وقد شجعهم على ذلك ما أغدقه عليهم بعض خلفاء بني العباس من أموال وهبات، وما أظهروه نحوهم من احترام وتقدير. وبرز في مقدمة هؤلاء العلماء ثابت بن قرة مترجم علوم اليونان وأولاده و محمد البتاني عالم الفلك المشهور ... لكن أفضل من جادت به حران على الإطلاق في عصور الإسلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فإنه حراني الأصل.

بتصرف كبير عن مقالة إلكترونية :حرّان المدينة المنسية ـ عبد الرحمن بدر الدين

ذلك الوقت ،أجرى الله تعالى معجزة مباركة فأمر بخلق صوت غير مرئي في الهواء ، وهذا الصوت كان صوتاً ناطقاً ومسموعاً.."[٢٢]

وهو عين كلام الجهمية والمعتزلة الذين نقل من كتب الفرق أقوالهم وعقائدهم .[٢٣]

وقارن هذا الكلام عن هذا الفيلسوف اليهودي حول كلام الله بما نقله شيخ الإسلام عن بعض أرباب المذهب الأشعري حيث يقول –رحمه الله – عن اعتقادهم في القرآن: "إنه معنى قائم بذات الله فقط ،وأن الحروف ليست من كلام الله ، بل خلقها الله في الهواء أو صنفها جبريل أو محمد..."أ.هـ[٢٤]

بل قرر صاحب كتاب "فلسفة الكلام" بأن هذه العقيدة :وهي القول بأن كلام الله مخلوق هي عقيدة سائر اليهود الآن [٢٥].

ولعل السر في ذلك والله أعلم كردة فعل على الافتراءات والتشبيه والتجسيم المكذوبة على الله في التوراة كما أشار بعض نقاد التوراة من اليهود ،وقام بهذه المهمة فلاسفتهم المتأثرون بالفلسفة اليونانية كما ذكرنا سابقاً.[٢٦]

حقيقة القول بخلق القرآن ومن قال به

المشهور أن القول بخلق القرآن هو قول الجهمية والمعتزلة[٣٧] وتأثر بهم فيما بعد متأخروا الشيعة والخوارج [٣٨]، وبسط الكلام حول هذه القضية ليس الهدف من هذا البحث المختصر لأنه معلوم ومشهور عند كل من له عناية بعلم العقيدة والفرق الإسلامية ،ولكن الذي نريد أن نجليه ونوضحه هنا أن مذهب الأشاعرة والماتريدية في كلام الله أنه عبارة عن كلام الله وكلام الله على الحقيقة المعنى النفسي ،وأن الذي بين أيدينا وبين الدفتين مخلوق وهو ليس كلام الله حقيقة ،و عند التحقيق لا نجد فرقاً جوهريا مع المعتزلة في القول بخلق القرآن، ومر معنا الخلاف في أصولها اليونانية اليهودية ،وأنها كلها تنزع القداسة عن كلام الله المكتوب في المصاحف .

ولهذا يقرر شيخ الإسلام أن الأشعري ينص على أن كلام الله العربي الذي بين أيدينا مخلوق ،ونص عبارته :"ولكن المشهور عنه –أي الأشعري–أن الكلام العربي مخلوق، ولا يطلق عليه بأنه كلام الله "أ.هـ. [٣٩]بل ينص شيخ الإسلام على عدم الفرق بين قول المعتزلة والجهمية وبين قول الأشاعرة والكلابية حيث يقول :" فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولاً قبل أن يصل إلينا، وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في إثبات خلق القرآن العربي، وكذلك التوراة العبرية، ويفارقه من وجهين: أحدهما أن أولئك يقولون أن المخلوق كلام الله وهم يقولون إنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازاً هذا قول أئمتهم وجمهورهم، وقال طائفة من متأخريهم: بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي، لكن لفظ هذا الكلام ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به، ومع هذا لا يقولون أن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقولوه المعتزلة مع قولهم أنه كلام حقيقة، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله وهو كلام حقيقة، وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية، ومن هذا الوجه نقول: المعتزلة أقرب، وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة، لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء وإنما ينازعونهم في اللفظ، الثاني أن هؤلاء يقولون: لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته، و(الخلقية)[٤٠] يقولون لا يقوم بذاته كلام، ومن هذا الوجه الكلابية خير من (الخلقية) في الظاهر، لكن جمهور الناس يقولون إن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاماً له حقيقة غير المخلوق، فإنهم يقولون إنه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، ومنهم من قال هو خمس معان."أ.هـ[٤١]

وحتى لا يكون الكلام بغير برهان ولا دليل أسوق بعض كلام أئمة الأشاعرة والماتريدية في القديم والحديث يؤكد ما قررناه سابقا عنهم ،وذلك بتصريحهم بأن القرآن الموجود

الآن في أيدينا مخلوق ،وأن القول بأن كلام الله نفسي وأن الموجود عبارة عن كلام الله قضية مشكلة ومحيرة بين أوساط الأشاعرة.

-يقول إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: "فإن معنى قولهم-يعني المعتزلة -(هذه العبارات كلام الله)أنها خَلْقُه ،ونحن لا ننكر أنها خلق الله .."أ.هـ[٤٢].

-ويقول الرازي : "واعلم إن التحقيق أن لا نزاع بيننا وبينهم في كونه متكلما بالمعنى الذي ذكروه "[٤٣] ،قال شيخ الإسلام معقباً: "الوجه الثالث:أن الرجل قد أقر أنه لا نزاع بينهم وبين المعتزلة من جهة المعنى في خلق الكلام بالمعنى الذي يقوله المعتزلة ، وإنما النزاع لفظي حيث إن المعتزلة سمت ذلك المخلوق كلام الله ،وهم لم يسموه كلام الله "أهـ[٤٤].- يقول أبو المعين النسفي : "فأسمعه جبريل بالصوت والحروف فخلق صوتاً فسمعه بذلك الصوت والحروف .."أهـ[٤٥]-يقول الباجوري : "واعلم إن كلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى :أنه صفة قائمة بذاته ، كما يطلق على الكلام اللفظي بمعنى :أنه خلقه"أ.هـ، ومع هذا نرى تناقض هؤلاء وخجلهم من البوح بهذا المعتقد القبيح لعامة الناس فيستدرك الباجوري على الكلام السابق ويقول : "ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثاً لا يجوز أن يقال:القرآن حادث إلا في مقام التعليم .."أهـ[٤٦]

ويقول التفتازاني :"فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة ، وهو في التحقيق عائد إلى إثبات كلام النفس ونفيه ، وأن القرآن هو المتلو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي ، وإلا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي "أ.هـ [٤٦] وهذا تصريح واضح بالاتفاق مع المعتزلة بالقول بخلق القرآن .[٤٨]

فخلاصة بحثنا أن ما نقرره من مآلات فاسدة مفسدة لعقيدة المسلمين ينصب على المعتزلة والأشاعرة والماتريدية لأنهم متفقون على أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق.[٤٩]ويقرر شيخ الإسلام أن حقيقة قول الأشاعرة استفاضت عند الناس أن القرآن ليس كلام الله وأن كلامهم متناقض وأنهم من بعض الوجوه تكون المعتزلة أخف منهم بدعة .[٥٠] ،وأن ماذم السلف به المعتزلة ينال الأشاعرة منه النصيب الأوفى.[٥١]، ورحم الله ابن قدامة حين قال :"وعند الأشعري أنها-أي السور والآيات –مخلوقة ، فقوله قول المعتزلة لا محالة ،إلا أنه يريد التلبيس فيقول في الظاهر قولاً يوافق أهل الحق ، ثم يفسره بقول المعتزلة "أهـ.[٥٢]

١ فصل : مآلات القول بخلق القرآن على مذاهب المتكلمين (كما قرره السلف).

إن من يتأمل موقف السلف الصارم والقوي من القول بخلق القرآن يدرك تمام الإدراك عمق فهمهم ورسوخ قدمهم في فهم نصوص الكتاب والسنة واطلاعهم على دقائق مقالات الفرق الضالة ،وما تؤول إليه وإن لم يصرحوا بها ،ولعظم هذه الفرية في حق كلام الله وفي المصدر الأول في التشريع الإسلامي كانت فتواهم التي أجمعوا عليها :أن من يقول بخلق القرآن فهو كافر[٥٣] ،وأكتفي هنا بذكر كلام الإمام اللالكائي بعد أن سرد أقوال السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم حتى عد خمسمائة وخمسين نفساً قال :"قالوا كلهم القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر ، فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين وأبتاع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس أقوالهم وتدينوا بمذاهبهم ، ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار . ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أوصلبه "أ.هـ[٥٤]

ومما يؤيد هذا الحكم ويعضده نقلاً وعقلاً هو بيان ما تؤول إليه من مآلات فاسدة في حق الله جل وعلا وذاته المقدسة ،وفي حق الرسالة المحمدية ،وفي الشريعة الإلهية برمتها ،ولعلي أذكر بعضاً من هذه المآلات التي أشار إليها السلف وسطروها في كتبهم، حفظاً لعقيدة المسلمين ، ودفاعاً عن كلام رب العالمين ، مع صبرهم وثباتهم رغم ما لقوهم من عنت ومشقة وأذية بسبب وقوفهم أمام هذه البدعة العظيمة ،والفرية الشنيعة ، وأبرز هذه المآلات ما يلي:

المآل الأول : (أن الله أو شيئا من صفاته يكون مخلوقاً).

من فقه السلف- رحمهم الله – أنهم تنبهوا إلى خطورة القول بخلق القرآن ومن أعظم ما تؤول إليه هذه البدعة الخطيرة، والزلة العظيمة؛ هو القدح في ذات الرب ،والتدرج إلى اعتقاد أمر قد يكون مستبعداً في بداية الأمر ، ولكن مع مرور الأزمان ،وغلبة الجهل، ودروس العلم قد يقال: إن الله أو شيئا من صفاته مخلوق ، وحتى لو لم يُقَل صراحةً ففيه نزع ومساس بقدسية وتعظيم الرب جل وعلا وأسمائه وصفاته في قلوب من يقولون بهذا القول المبتدع ،وبيّن السلف أن الزنادقة الطاعنين في الإسلام يتدرجون في القدح في الدين وأصوله ومسلماته من خلال هذه الأقوال المبتدعة ، قال الإمام مالك :" القرآن كلام الله عز وجل ، وكلام الله

تعالى من الله سبحانه ، وليس من الله جل وعلا شيء مخلوق"[٥٥]،وقال الإمام أحمد " من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق "[٥٦]،ونص السلف –رحمهم الله – أن هذا القول أصل الزندقة بناء على ماسبق ذكره لأنه يعود بالقدح على ذات الرب جل وعلا :فقد سأل رجل عبد الله بن إدريس عمن يقول : القرآن مخلوق–من اليهود ؟ قال : لا ، قال : من النصارى ؟ قال : لا ، قال : من المجوس ؟ قال : لا ، قال : ممن ؟ قال : من أهل التوحيد ، قال : معاذ الله أن يكون هذا من أهل التوحيد ، هذا زنديق . من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله عز وجل مخلوق ، يقول الله عز وجل : بسم الله الرحمن الرحيم ، فالرحمن لا يكون مخلوقاً، والرحيم لا يكون مخلوقاً ، والله لا يكون مخلوقاً ، فهذا أصل الزندقة"أ.هـ[٥٧] .

وبين السلف أيضا بالتفصيل كيف يؤول هذا القول الفاسد لمثل هذه النتيجة الخطيرة فقد نقل عن الشافعي كما جاء عن البويطي صاحب الإمام الشافعي انه قال : " : إنما خلق الله كل شيء بـ(كن) ، فإن كانت (كن) مخلوقة فمخلوق خلق مخلوقا "أ.هـ. قال : فحكاه الربيع قلت(القائل اللالكائي) :" وهذا معنى ما يعبرون عنه العلماء اليوم : إن هذا (كن) الأول كان مخلوقا ، فهو مخلوق بـ(كن) أخرى ؛ فهذا يؤدي إلى ما يتناهى ، وهو قول مستحيل"أ.هـ [٥٨]

وكلام الشافعي استنبطه من قول الله جل وعلا ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٠][٥٩]، ومما استدل به السلف على هذا الأمر وأن القول بخلق القران يؤدي إلى القول بأن الله أو شيئا من صفاته مخلوق : قوله عز وجل : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ [السجدة: ١٣]، وما كان منه فهو غير مخلوق،وهذا كله إشارة إلى أعظم مآل وهو:

أن يكون شيء من صفات الله أو ذاته مخلوقا.[٦٠]، قال الأشعري -تعليقا على هذه الآية-:"وكلام الله من الله تعالى ، فلا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقاً في شجرة مخلوقة ، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقاً في غيره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"أ.هـ[٦١]

ويقول الإمام ابن بطة :"فزعموا أن القرآن مخلوق ، والقرآن من علم الله تعالى وفيه صفاته العليا وأسماؤه الحسنى ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله كان ولا علم ، ومن زعم أن أسماء الله وصفاته مخلوقة فقد زعم أن الله مخلوق محدث ، وأنه لم يكن ثم كان ، تعالى الله عما تقوله الجهمية الملحدة علواً كبيراً "أ.هـ[٦٢]

ويقول الإمام السجزي بعبارة أكثر وضوحاً:"لأن من قال :إنه مخلوق صار منكراً لصفة من صفات ذات الله عز وجل، ومنكر الصفة كمنكر الذات ، فكفره كفر جحود لا غير "أ.هـ[٦٣].

والإمام أحمد يقدم لطلابه دليلا عقلياً على هذه النتيجة الخطيرة لمن يقول بخلق القرآن فقد سئل :إن الناس قد وقعوا في أمر

القرآن فكيف أقول ؟قال الإمام أحمد :أليس أنت مخلوق ؟ قال : نعم ، قال :فكلامك منك، مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : أوليس القرآن من كلام الله ؟قال : نعم ، قال :فيكون من الله شيء مخلوق ؟![٦٤]

ويقول شيخ الإسلام -معلقاً على هذا الاستدلال من الإمام أحمد -:"بين أحمد للسائل أن الكلام من المتكلم وقائم به ، لا يجوز أن يكون الكلام غير متصل بالمتكلم ، لا قائم به ، بدليل أن كلامك أيها المخلوق منك لا من غيرك ، فإذا كنت أنت مخلوقاً وجب أن يكون كلامك أيضاً مخلوقاً ، وإذا كان الله تعالى غير مخلوق امتنع أن يكون ما هو منه وبه مخلوقاً"أهـ.[٦٥]

المآل الثاني : (تجويز الشرك بالله)

ويستدلون بأنه يستعاذ بكلمات الله ومن زعم أن القرآن مخلوق فكأنه يجيز أن يستعاذ بمخلوق وهو شرك بالله العظيم ،فمآل من قال إن القرآن مخلوق أنه يجوز أن يشرك بالله ويستعاذ بمخلوق .

قال اللالكائي :"وقال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء: ٣٦]،ومن أعظم الشرك أن يقال:إن العبادة لاسمه واسمه مخلوق ، وقد أمر بالعبادة للمخلوق"أهـ[٦٦].

"وسأل رجل النضر بن محمد عن القرآن فقال النضر : من قال بأن هذه الآية ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه: ١٤] مخلوقة فقد كفر . فلقيت عبد الله بن المبارك فأخبرته فقال : صدق أبو محمد عافاه الله ، ما كان الله ليأمرنا أن نعبد مخلوقا"أهـ[٦٧]

وقد أنشد الإمام ابن المبارك[٦٨] :لا أقول بقول الجهم إن له قولاً يضارع قول الشرك أحياناً وجاء عن سوار بن عبد الله القاضي يقول :"دخلت على رجل أعوذه من وجع به ، فقال :القرآن ليس بمخلوق ، وذاك أنه كل من عوذني قال أعيذك بالله ،أعيذك بالقرآن ،فعلمت أن القرآن ليس بمخلوق"أ.هـ[٦٩]، وقال الإمام البخاري :"باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره ،وقال نعيم :لا يستعاذ بالمخلوق ولا بكلام العباد ، والجن والإنس والملائكة "قال البخاري: وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وأن سواه خلق "أ.هـ[٧٠]،، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :"ولهذا كان السلف يقولون في هذه الآية -يعني قوله تعالى ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه: ١٤]- وأمثالها : من قال :إنه مخلوق فقد كفر ، ويستعظمون القول بخلق هذه الآية وأمثالها أكثر من غيرها يعظم عليهم أن تقوم دعوى الإلهية والربوبية لغير الله تعالى "أهـ[٧١].

المآل الثالث: وصف الله بالنقائص والعيوب

ومما آل إليه القول بخلق القرآن جملة من النقائص والعيوب في حق الله عز وجل نجملها فيما يلي :

١-اعتقاد أن شيئا من ذاته أوصفاته يفنى ويبيد: وقد استنبط هذا المآل أهل السنة